الحفريات الأثرية

اعداد: د. فوزي زيادين

عمان ـ جبل الجوفة
مدفن بيزنطي مزين بالرسوم الملونة:

ظهر هذا المدفن في الثالث من شهر كانون الأول عام ١٩٨١ أثناء القيام بحفريات شبكة المجاري في جبل الجوفة، فوق المدرج الروماني ـ وقد سبق ان عثر في هذه المنطقة على العديد من المدافن الرومانية والبيزنطية(١).

يتكون المدفن من حجرة صغيرة تكاد تكون مربعة لا يتجاوز ضلعها الثلاثة امتار نحتت في الصخر الجيري ولها مدخل ضيق من الغرب وعلى جوانبها حفرت ثلاث حنيات للدفن
كانت الجدران الصخرية مغطاة بطبقة من الجص الملون يبلغ سمكها سنتمتران ولكن الرطوبة وعبث المخربين ازالا جزءا كبيرا منها. وسارعت دائرة الآثار الى اجراء التنقيب باشراف كل من د. صبري عبادي ووائل الرشدان. ولما زار كاتب هذه الاسطر الموقع تيقن من اهمية الاكتشاف بعد قراءة الكتابات اليونانية المتبقية وطلب الى الرسام كلود فيبرت من المعهد الفرنسي نسخ الصور المتبقية (شكل ١). لم يظهر أثناء التنقيب سوى بعض الكسر الفخارية البيزنطية مع مصباح واحد وبقايا عظام تالفة ـ وقطعة نقدامية غير واضحة.

الرسوم الملونة:

أ ـ الجدار الشرقي: هي الواجهة الوحيدة التي لا تزال رسوماتها واضحة المعالم نسبيا. ففي اعلاها يمتد افريز من اغصان الكرمة وعناقيد العنب بالوان خضراء وحمراء وبنية وصفراء، بين شريطين بلغ عرضهما خمسة سنتمترات ويتوسط هذا الافريز صليب داخل اكليل وعلى جانبي الحنية رسمت لوحتان.

يظهر في اللوحة اليمنى رجل واقف يرتدي معطفا طويلا احمر ويمد يده نحو رجل جاثم امامه وفوق رأسه كتبت كلمة (CWTHP) باليونانية اي المخلص. وهو لقب السيد المسيح. اما الرجل الجاثم فيتكأ على عصاه وفوق رأسه اكليل باللون الأصفر وبداخله صليب وعند قدميه كتبت بضعة احرف باليونانية استطعت ان استخلص منها كلمة OC (Λ)ΥΦ(T) اي الاعمى فاللوحة اذا تصور معجزة شفاء رجل اعمى قام بها السيد المسيح. وفي الانجيل عدة معجزات من هذا النوع. فمثلا: انجيل يوحنا اصحاح ٩، ١٠ – ٢٦ هي التي صورها الفنان في نظري:

"وجاء الى بيت صيدا فاحضروا له اعمى وسألوه ان يلمسه فأخذ بيد الأعمى وأخرجه الى خارج القرية وتفل في عينيه ووضع يديه عليه وسأله ايبصر؟ فرفع طرفه وقال: ابصر الناس كأشجار تمشي فعاد ووضع يديه على عينيه فبدأ يبصر وعاد معافى حتى اصبح يبصر كل شيء جيدا (الكتاب المقدس، المطبعة الكاثوليكية ـ ١٩٦٦).

في اللوحة التي الى يسار الحينية رجل يلبس رداء احمر يشده الى وسطه زنار ويمكن تمييز حذائه ـ وفوق رأسه كتبت كلمة CWTHP مرة اخرى، فهو اذا السيد المسيح اما الشخص الآخر الى اليمين فقد زالت معالمه كليا ولكن الحروف المتبقية فوق رأسه تدل على اسم (OC) ΛAZAP ـ اليعازر وهناك كلمة اخرى يصعب قراءتها اذ لم يبق منها الا القليل. صور الفنان معجزة اخرى قام بها السيد المسيح في بيت عنيا قرب القدس حيث توفي صديقه اليعازر. فلما وصله الخبر ذهب الى القرية حيث كانت اختاه مريم ومرثا في انتظاره مع جمع غفير ـ فاخرج اليعازر من قبره بعد مرور اربعة ايام على موته وبعد هذه المعجزة تأمر اليهود على قتله خوفا من ان يتبعه الشعب ـ واصبحت قيامة اليعازر رمزا لقيامة المسيح والبعث الأخير ـ ولذلك تكرر هذا الموضوع في ديناميس روما اكثر من عشرة مرات(٢).

ـ ذكر القرآن الكريم معجزة احياء الموتى التي قام بها السيد المسيح في سورة المائدة "وتبرىء الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني"

T 43	IFAPO AMMAN DJEBEL AL JAUFA	04.02.82 Ech: 1:5	Claude VIBERT-G.

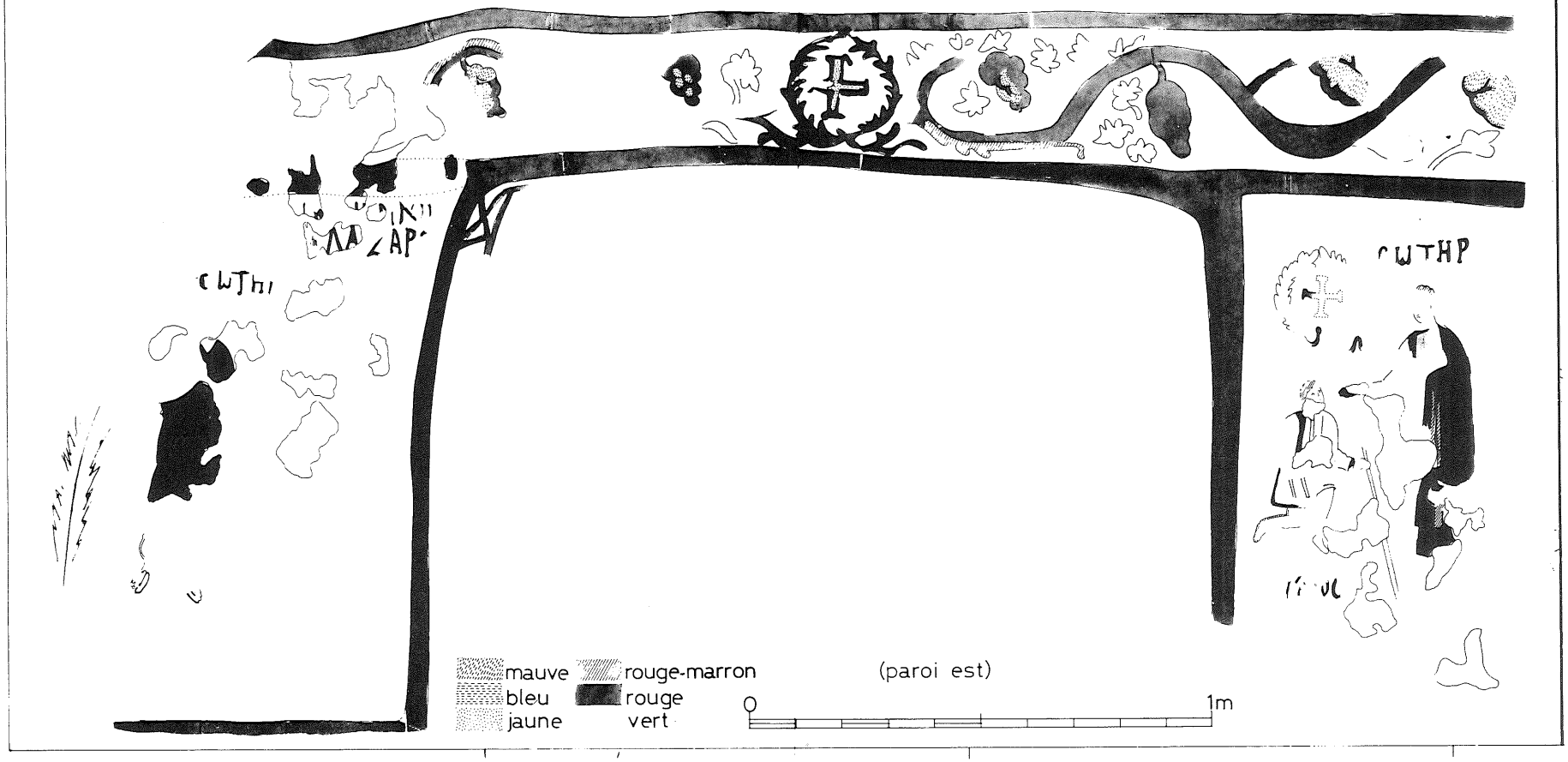

قبر بيزنطي في جبل الجوفة في عمان

وآل عمران "وأبرىء الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله".

ب ـ الجدار الشمالي: يظهر في الأعلى افريز من اغصان الكرمة في وسط صليب والى اليمين من الحنية سعف نخل باللون الأخضر وشكل يصعب تمييزه. وكان الجدار الغربي مزينا بالرسوم أيضا الا انه لم يتبق منه شيء.

يستدل من المصباح وكسر الفخار التي اكتشفت ان المدفن يرجع الى أواخر القرن السادس الميلادي. وهو اول مدفن بيزنطي تظهر منه صورة السيد المسيح ومعجزاته ورغم ان مدافن قويلبة التي تم التنقيب عنها حديثا مزينة بالفرسكو الملونة الا ان لا تأثير فيها للمسيحية.

مراجع:

1. G.L. Harding, **QDAP,** XIV (1950) p. 81-94.
   G. Bisheh, **ADAJ,** XVII (1972) p. 81-83.
2. A. Nestori, Repertorio topographico delle pitture delle catacombe romane, Citta del Vaticano, 1975 (see index).
   A. Grabar, Le Premier Art Chretien, Paris, 1966, Fig. 255-6.

خريبة السوق:

انجزت دائرة الآثار العامة موسما من التنقيب في خريبة السوق التي تبعد حوالي ١١ كلم في شهري اذار ونيسان عام ١٩٨١. وتركز العمل على البزليكا الواقعة في قلب البلدة وعلى المدفن القائم بمحاذاة الطريق وذلك باشراف كاتب هذا التقرير يساعده الساده حفظي حداد وتيسير عطيات.

البزليكا:

يقسم هذا البناء المستطيل الى ثلاثة اروقة صفان من سبعة اعمدة اثنان منها مازالا قائمين تعلوهما التيجان الايونية ويبلغ عرض البزليكا ١٣ مترا تقريبا ولم يحدد طولها بعد بسبب امتدادها في عقار احد المواطنين.

كشف التنقيب عن خمس فترات معمارية، يرجع ان الاولى منها رومانية متأخرة، كان البناء في خلالها معبدا والثانية بيزنطية، اذ وجدت في الرواق الشمالي عام ١٩٧٥ بقايا فسيفساء ملونة تصور غزالا يقف بجانب شجرة. وفي الموسم الجديد ظهر فوق مدخل هذا الرواق حنت عليه أثار صليب ـ ولكن هذا المدخل كان قد اعيد بناؤه. تم استعمال البناء في الفترة الاموية بدليل الكسر الفخارية الكثيرة والملاط الذي زخرف باشكال تشبه تلك التي ظهرت في قصر الحلابات وغيرها من الابنية الاموية. وفي الفترة الرابعة (عصر المماليك) كان اصطبلا للخيول ومن العهد العثماني، تم العثور على منزل اقيم في الزاوية الجنوبية الغربية وقد طليت جدرانه بالجص الابيض.

الى الغرب من البزليكا، تم اكتشاف بناء آخر مستطيل مدخله الى الشرق وتبلغ ابعاده ٨,١٠ م × ٤,٨٠ م وقد استعملت في جدرانه قطع اعمدة كبيرة ـ وعثر بداخله على ابريق ملون وكسر فخارية ترجع الى القرن الرابع عشر الميلادي.

المدفـــن:

أظهر التنقيب ان البناء الذي يقع بمحاذاة الطريق هو مدفن عائلي، له شباك من الغرب وقد عثر بداخله على غطاء تابوت من الحجر وعلى كسر فخارية ترجع الى العصر الروماني المتأخر ولم ينته العمل في هذا البناء.

عملت دائرة الآثار العامة على تسييج البزليكا والمدفن لحمايتها من الزحف العمراني وتأمل بالعودة الى الموقع في القريب العاجل.

حمامات رومانية في السلط

أثناء قيام بلدية السلط بعمليات التجريف لبناء مجمع النقابات ظهر بتاريخ ٧ تموز ١٩٨١ الدور الأسفل لحمامات رومانية في الموقع المسمى البياضة بين تل الجدعة وتل الجادور الأثري. طلبت الدائرة ايقاف الاليات وباشرت بالتنقيب باشراف مفتش اثار السلط السيد سعد الحديدي.

شكل (١) حمامات رومانية في السلط

ولابد من تقديم الشكر لرئيس بلدية السلط الدكتور عبد الرزاق النسور الذي ابدى كل اهتمام بالاكتشاف الجديد وسمح بتعطيل اعمال البناء حتى انتهاء الحفريات والتخطيط (شكل ١).

دمرت اعمال التجريف الجزء العلوي من الحمامات ولم يتبق سوى دعامات من الطوب كانت تحمل الأرضيات وتسمح بمرور الهواء الساخن. وقد استطعنا، رغم التخريب الذي تعرض له البناء، التعرف على حجرتين تبلغ ابعاد الأولى ٣ م × ٣,٢٠ م كانت في الغالب هي الغرفة الساخنة Caldarium والثانية وهي اكبر منها (٤,٥٠ م × ٣ م) يعتقد انها الغرفة الفاترة Tepidarium ـ كما هي الحال في حمامات قصير عمره. وتوجد حجرات صغيرة الى الغرب منحوته في الصخر وبها دعامات من الطوب. الا انه كان من الصعب تحديد وظيفتها بسبب وجودها عند سفح الجبل وتحت طبقة سميكة من الردم.

يستدل من الكسر الفخارية ان الحمامات كانت قائمة في أواخر العصر الروماني (القرن الثالث والرابع بعد الميلاد) الا انها بنيت دون شك في فترة اقدم اذ انها تشبه الحمامات التي اكتشفت في قلعة مكاور جنوب مادبا ومسعده على شاطئ البحر الميت والتي ترجع الى اواخر القرن الاول قبل الميلاد.

ان متعهد البناء لم يستطع مع الأسف الحفاظ على هذا الشاهد الوحيد لمدينة السلط اليونانية الرومانية والتي اشتهرت تحت اسم جادورا.

فسيفساء جديدة في مادبا

في عام ١٩٧٣ عملت دائرة الآثار العامة على حيازة المنطقة الأثرية الواقعة في حي الصناع في مادبا ومنذ ذلك التاريخ وهي تقوم بالتنقيب عن الآثار في الموقع، فقد كشفت عن جزء من شارع الأعمدة الرئيسي الذي كان يجتاز المدينة من الشرق الى الغرب. ومن المحتمل ان ساحة الندوة الفوروم ــ لم تكن بعيدة عنه. وفي هذه المنطقة تم صيانة ثلاثة كنائس بيزنطية مزينة بالفسيفساء، اثنتان الى الجنوب من الشارع الواحدة فوق الأخرى، اقيمت السفلى تذكارا للشهيد اليانوس عام ٥٩٥ ــ ٥٩٦ ب.م والعليا للنبي الياس عام ٦٠٨ ب.م.

اما كنيسة العذراء مريم فانشئت الى الشمال من الشارع وهي أقدم المآثر التي استرعت اهتمام المختصين اذ اطلع عليها الفرنسي جرمر دوران (Germer-Durand) عام ١٨٨٧ ونسخ كتاباتها ولكن اول من نشر لها مخططا هو الأب منفـردي (Manfredi) عام ١٨٩٩، تبعه بعد ذلك الراهب اليوناني متكساكيس (Metaxakis) الذي شملها في مخطط دقيق وكامل لأثار مادبا. عندما باشرت دائرة الآثار العامة في العمل في الكنيسة بدأت بازالة البيت الحديث الذي كان يستخدم مستودعا للآلات الزراعية فظهرت الكتابة التي تحمـل التاريخ والتي تتألف من ثمانية اسطر وليس سبعة كما ادعى البعض (١) وهذا نصها: ــ

١ ــ في عهد ابينا الورع الاسقف ثيوفانوس.
٢ ــ تم انجاز هذه الفسيفساء البديعة.
٣ ــ لزينة البيت المجيد المقدس (المقام) للقديسة الطاهرة.
٤ ــ الملكة ام الله بفضل جهد ونشاط اهل مادبا المحبين للمسيح.
٥ ــ من أجل خلاص وبعث ومغفرة خطايا.
٦ ــ الذين قدموا التبرعات.
٧ ــ والذين يقدمونها امين يا رب. تم
٨ ــ بنعمة الله في شهر شباط سنة ١٩٧٤ (٦٦٢ ــ ٦٦٣ ب.م).

كان هناك اختلاف في الرأي حول تفسـير الأرقام اليونانية ولكن الأبحاث الأخيرة اكدت ان الرقم الأخير هو تسعمائة على الحساب السلوقي (اي ٩٧٤ ــ ٣١٢ = ٦٦٢ ــ ٦٦٣ ب .م)(٢).

تتألف الكنيسة من: ــ

١ ــ فناء مربع حيث المدخل الغربي، ظهر فيه في الاربعينات جزء من فسيفساء أثناء حفر اساسات احد المنازل، وهي تمثل الهـة الحظ، فنقلها لانكستر هاردينغ الى عمان وهي الآن في متحف المدرج الروماني.
٢ ــ ومن صحن مستدير مزين بالفسيفساء ذات الأشكال الهندسية وفي وسطها كتابة اخرى.
٣ ــ ومن الشرق تنتهي بمحراب مجوف وجدت في مدخله الكتابة المشار اليها.

في شهر آب عام ١٩٨٢ عادت دائرة الآثار العامة الى التنقيب في الموقع بايعاز من المدير العام الدكتور عدنان الحديدي وباشراف مفتش آثار مادبا والدكتور ميشيل بشرللو. وكان الهدف من العمل صيانة الفسيفساء والبحث عن مخطـط البناء الكامل وعن تاريخه بالاضافة الى البحث عن الأرضية التي اقتطعت منها اللوحة التي نقلت الى عمان كما ذكرنا ذلك.

بعد ازالة الردم من الجهة الغربية ظهرت على عمق متر ونصف المتر ارضية ملونة كاملة تتكون من ثلاثة أجزاء: ففي الافريز العلوي، بين الطيور والحيوانات الخرافية، ثلاث سيدات جالسات على الارائك في زي الهات الحظ يحملن صولجانا في اليمنى على شكل صليب وفي اليسرى رمزا للخصب وفوق رؤوسهن كتبت اسماؤهن: روما، غريغوريا، مادبـا، ان المدينـة الثانيـة هي في الغالـب القسطنطينية وان لم يكن هذا التفسير الا مجرد افتراض. ومما يثير الاهتمام هو وجود مادبا بين حاضرتين كبيرتين في العصر البيزنطي.

يحيط باللوحة الوسطى المربعة شريط يمثل مشاهد صيد الحيوانات المفترسة وعلى الزوايا الأربع الهات الحظ (التي نقلت احداهـن الى عمان) وتقسم اللوحة الى جزئين: في الاعلى الهة الجمال افروديت جالسة على كرسي وبجانبها الآله ادونيس ممسكا بالرمح وحولهما اطفال الحب المجنحة (كيوبيدو) تسرح وتمرح وتطاردها الهات الجمال الثلاث ويلاحظ ان الفنان قصد من هذا المشهد التفكهة والمرح. فهذا كيوبيدو يختبيء في

سلة وآخر تؤدبه افروديت بحذائها وثالث أختبأ في شجرة بينما فر الرابع هاربا تلاحقه الهة الجمال، والى اقصى اليسار من هذه المشاهد المليئة بالحيوية، تمر فلاحة بهدوء حاملة على كتفها سلة فواكه وبيدها طير تذهب بها الى السوق.

يمثل الشريط الأسفل مشهدا من مأساة هيبوليتوس التي كتبها الشاعر الاغريقي يوريبيدوس والتي استوحاها من اسطورة قديمة تروى ان فدرا ابنة مينوس ملك كريت اصبحت الزوجة الثانية لملك اثينا تيسيوس، وكانت زوجته الأولى هيبوليتا قد رزقته بصبي سمته هيبوليتوس فلما اصبح يافعا تولع بالصيد والرياضة الصعبة. وكان يعبد الآلهة ارتميس دون افروديت فانتقمت منه بان اوقعت فدرا زوجة ابيه، في غرامه. ومع ان فدرا قاومت هذا الحب المخالف للطبيعة الا انها لم تستطع ان تكتمه فصارحت به الشاب الذي اعرض عنها. وخوفا من ان يفضحها عند ابيه لجأت الى حيلة جهنمية فمزقت ثيابها وكسرت باب حجرتها وادعت ان الشاب البريء حاول ان يغتصبها. ولم يشأ ابوه ان يقتله بنفسه، فطلب الى اله البحر بوسيدون ان ينتقم منه، فبينما كان هيبوليتوس يسير بعربته على شاطيء البحر خرج عليه وحش فاجفلت الخيل وسقط الى الأرض وعلق في اعنة الخيل التي جرته على الصخور ومات. ولما رأت فدرا ما حصل لحبيبها بسبب افترائها، اقدمت على الانتحار.

ان هذه المأساة التي استوحى منها المسرحي الفرنسي راسين، تفسر ظهور افروديت في اعلى اللوحة وهي الالهة التي تعتلي سدة الجمال والحب وتنتقم لمن يخذلها. والفسيفساء هي ابدع ما انتجته مدرسة مادبا في القرن السادس للميلاد وتشير الى حيوية هذا الفن الذي اتحفنا بخارطة مادبا وكنيسة الرسل وسياغة وغيرها. كما تبين ان الفنان المأدبي لم يتورع من ان يأخذ عن الاساطير الاغريقية القديمة ويستوحي فنه من منابع الفن الكلاسيكي.

الا ان اهم ما كشفت عنه الحفريات الاخيرة هو التطور التاريخي للابنية في تلك المنطقة ففي العصر الروماني اقيم بناء نصف دائري اعتقد انه كان مخصصا لعبادة الالهة افروديت كما هي الحال في معبد بعلبك. ثم تحول في العصر البيزنطي الى ايوان تابع للمدينة، وفي القرن السابع، في عهد الامويين اثناء خلافة معاوية بن ابي سفيان، بنيت فوق الايوان كنيسة العذراء مريم. وليس من الغريب ان يتحول معبد افروديت لعبادة العذراء بتأثير المسيحية.

د. فوزي زيادين

مراجع:

(١) C.Dauphin, PEQ, 1975, P 155-157
من المؤسف ان كاتبة المقال التي كانت مخطئة في تحليلها للكتابة استخدمت تصريحا صحفيا نشر في الجوردان تايمز للتشهير بدائرة الآثار العامة لأغراض غير علمية.

(٢) راجع: M. Piccirillo, ADAJ IV, (1980) p. 151 - 52.
وفي هذا العدد ص ٤١٧ ـ ٤٢١